

كان الجنود المصريون في ذلك المعسكر يحبوننا كثيراً، أحدهم تعرف علينا وعرفنا بالأسماء، فإذا ما أطللنا نادى علينا...محمد أحمد...تعالا هنا... فنذهب إليه ونقف إلى جواره نتذلل ونحني رؤوسنا في انتظار ما سيعطينا كالعادة فيمد يده إلى جيب بنطاله العسكري ويخرج لكل واحد منا قطعة من حلوى الفستقية يلتقط كل واحد منا قطعه ويبدأ بقضمها بنهم شديد، يُرَبِّت ذلك الجندي على أكتافنا ويمسح على رؤوسنا ويأمرنا بالرجوع إلى البيت فنبدأ بجرجرة أرجلنا عائدين في طرقات المخيم.

رحل الشتاء بعد طول مكث وشدة وبدأ الجو يصبح دافئاً ورائعاً ولم يعد المطر يداهدنا بويلاته ظننت أن وقتاً طويلاً قد مرَّ على انتظار الشتاء وأنه لن يعود قريباً ولكني أرى حالة من القلق والإرباك من حولي، فالأهل كلهم في وضع أسوأ بكثير من أوضاع تلك الليلة الماطرة، لم أكن قادراً على إدراك ما يجري حولي ولكن الأمر لم يكن طبيعياً ولا حتى في ليالي الشتاء والدتي تملأ كل ما لديها من أوعية بالماء، وتضع تلك الأوعية في ساحة الدار، وأبي استعار (الطورية) الفأس من الجيران وبدأ بإعداد حفرة كبيرة طويلة في الساحة التي كانت أمام البيت وأخي محمود يساعده بعض الشيء فقد كان عمره حينها (١٢ سنة).

بعد أن جهزنا الحفرة بدأ أبي بوضع قطع من الخشب عليها ثم بدأ بتغطيتها بالأواح الصاج (الزينكو) التي كانت تغطي جزءاً من ساحة الدار كعريش. أدركت أن والدي في مأزق حيث بدأ يلتفت باحثاً عن شيء ثم رأيت أنه قد بدأ بخلع باب المطبخ ودفنه فوق تلك الحفرة، ولكني رأيت أمي وأخي محمود ينزلان إلى تلك الحفرة من فتحة لا زالت لم تغلق، حينها أدركت أن العمل قد انتهى. تجرأت على الاقتراب من تلك الفتحة لأطل في تلك الحفرة فوجدت ما يشبه الغرفة المظلمة تحت الأرض، ولم أفهم شيئاً ولكن كان واضحاً أننا ننتظر شيئاً صعباً وغير عادي، ويبدو أنه أفسى بكثير من تلك الليالي الممطرة العاصفة.

لم يعد أحد يأخذ بيدي من جديد ليأخذني إلى معسكر الجيش المصري القريب لناخذ قسطاً من (الفستقية) بل رفض أخي مراراً فعل ذلك، وهو التغيير الكبير بالنسبة لي ولمحمد، ولم أكن قادراً على فهمه؛ كذلك حسن لم يكن يعرف سرنا هذا، ولعله كان يعرف ولكنه لم يكن شريكنا فيه، ولم أكن أعرف لماذا لم يشاركنا الأمر؟ ولكن ابن عمي إبراهيم الذي كان في سن قريبة من سني، والذي كان يسكن في البيت المجاور لنا كان على علم بالأمر.